

## «ابن حزم الظاهري وأثره في حفظ التراث الاسلامى»

حسين بنى خالد

مقدمة

اسمه ومولده :

هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد ويكنى بأبى محمد، ويزيد أصله من بلاد فارس ، أسلم وكان مولى لزيد بن أبى سفيان المعروف بيزيد الخير . ويذكر المؤرخون أن أول من دخل من أسرته الى الاندلس هو خلف بن معدان، وقد كان ذلك فى زمن الخليفة عبدالرحمن بن معاوية بن هشام المعروف بالداخل.(١) وأول من سكن قرطبة من أسرته والده أحمد بن سعيد، وهى التى ولد فيها أبو محمد، وقد جاء هذا الخبر فى رسالة كتبها أبو محمد الى قاضى طليطلة صاعد بن أحمد يقول فيها : ولدت بقرطبة فى الجانب الشرقى من بعض منية المعيزره ، وكانت هذه الولادة سنة (٣٨٤ هـ (٢) .

أصله :

ذهب بعض المؤرخين القدامى كابن سعيد صاحب المغرب وأبي مروان بن حيان المؤرخ ، وكذلك من المحدثين المؤرخ الاسباني سانتشت البرنس، والدكتور طه الحاجري، ذهبوا الى أن ابن حزم من اصل اسباني وان جده نصراني اسلم فاشتهرت هذه الاسرة فيما بعد بهذا الاسم (٣) .

ويستطيع الباحث ان يقول بأن هذا الرأي لاصحة له بالنظر الى الامور الآتية:

- (١) لم يكن هذا الأمر مبنيًا على سند صحيح يؤكد هذا الزعم .
- (٢) لو كان هذا النسب صحيحًا لما تركه اعداء ابن حزم الذين خالفوه وشهروا بأرائه ومخالفتهم له، خاصة وانه كان سليل اللسان عليهم، فكيف يفوتهم مثل هذا ؟
- (٣) ان الذين ذهبوا الى هذا منهم من هو مختلف معه في الرأي، ولهذا يهمله تشويه نسبه للنيل منه، ومنهم من هو مستشرق حاقد على الاسلام والمسلمين يبنى قوله على خيط واه لاقوة له ولا أصل (٤).

نشأته وتعليمه :

نشأ ابن حزم في بيت عز ورفاه، حيث المال والجاه والسلطان، فحفت به وسائل العيش الرغيدة من كل جانب، وتلقى العلم في صغره على ايدي النساء والجواري الموجودات في بيته فتعلم منهن القراءة والكتابة وحفظ القرآن وعلومه مما كان له اكبر الاثر في صقل نفسيته ورهافة حسه، ولهذا فانه يذكر اثر هذه التربية على تكوين شخصيته في كتابه ,,طوق الحمامة,, ويبين مدى هذه العناية والرعاية التي احيطت به واهتمام والده به، وحرصه على تربيته وتعليمه ووضعه تحت المراقبة،

كل ذلك يذكره ابن حزم نفسه فيقول : ,,لقد شاهدت النساء وعلمت من اسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيرى لأنى ربيت فى حجورهن، ونشأت بين ايديهن، ولم أعرف غيرهن ولا جالست الرجال الا وانا فى حد الشباب وحين تفيل وجهى، وهن علمننى القرآن، ورويننى كثيراً من الأشعار، ودربننى فى الخط، ولم يكن كدى واعمال ذهنى مذ أول فهمى، وأنا فى سن الطفولة جدا، الا تعرف أسبابهن، والبحث عن اخبارهن وتحصيل ذلك، وأنا لا أنسى شيئاً مما أراه منهن، وأصل ذلك غيرة شديدة طبعت عليها، وسوء ظن فى جهتهن فطرف به فأشرفت من أسبابهن على غير قليل،،(٥) .

وأما عن مراقبته فيقول : انى كنت وقت تأجج نار الصبا وشرة الحداثة وتمكن غرارة الفتوة مقصورا محظرا على بين رقباء ورقائب، فلما ملكت نفسى وعقلت صحبت ابا الحسن بن على الفارسى فى مجلس ابي القاسم عبدالرحمن بن الازدى شيخنا واستاذى رضى الله عنه، وكان أبو الحسن المذكور عاقلا عاملا عالما ممن تقدم فى الصلاح والنسك الصحيح فى الزهد فى الدنيا (٦) .

ومن خلال ما ذكر نستطيع القول بأن ابن حزم قد اشرف على اعداده وتربيته منذ حداثة سنه داخل البيت وخارجه، وسلم الى مربى مستقيم كان له اكبر الأثر فى عفته واستقامته واهتمامه بالعلم واهله، وانصرافه عن الفساد الا وهو الشيخ ابو الحسين الفارسى .

وكان أول من تلقى عنه العلم بعد ذلك من الرجال هو احمد بن أحمد بن الحباب ابن الجسور وقد قرأ الفقه المالكى على عبدالله بن دحنون، وكان هذا الفقيه اماما مشهورا بالمذهب المالكى، كما انه تلقى النحو والصرف والفقه كذلك على ابي القاسم عبدالرحمن بن ابي يزيد الازدى (٧) .

وعلى الرغم من ان هؤلاء الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن حزم الفقه المالكي، وهو المذهب السائد فى عصره، الا انهم لم يؤثروا فيه للاقتصار على هذا المذهب دون غيره، فقد درس ابن حزم الفقه الشافعى من بطون الكتب فتأثر فيه، وكان فى بداية حياته العلمية شافعيًا، ثم ما لبث ان تحول عنه بتأثير شيخه ابى الخيار مسعود بن مفلت الذى كان ظاهرى المذهب، فانتقل ابن حزم من فقيه يختار ما يراه صوابا الى صاحب مذهب لا يتعداه، وهو الأخذ بظاهر النص (٨).

**العصر الذى عاش فيه :**

عرفنا فيما مضى بأن ابن حزم عاش فى بيت نعمة وجاه، فابوه وزير للمنصور بن ابى عامر، وكانت الدولة الاندلسية فى أزهى عصورها، فقد بنى المنصور مدينة الزاهرة واسكن فيها وزراءه، وكانت محل اعجاب من شاهدها . اجتمع لابن حزم مع الجاه والسلطان المال الوفير والمسكن الفسيح ، الذى وصفه فى كتابه ,, طوق الحمامة ,, بأنه مؤلف من عدة شرفات، وانه مطل على النهر ، وفيه من الجوارى والخدم ما يتناسب مع وضع اسرته، وكيف كانت تربيته فى هذا الجوارى (٩).

ومع ذلك فان الامور لم تدم على هذه الحال فقد انقلبت الاحوال الى قلق وضيق وسجن وتشريد، خاصة وان صاحبنا كان مواليا لبنى أمية الذين انتهى حكمهم فى قرطبة ، وبذلك وقع ابن حزم فى محنة عظيمة، جعلته متقلبا فى عيشه، وقد وصف هذا الحال بقوله : ,, لقد اخبرنى بعض من ورد من قرطبة ، وقد استخبرته عنها انه رأى دورنا ببلاط مغيث من الجانب الغربى منها وقد امحت رسومها وطمست اعلامها وخفيت معاهدها، وغيرها البلى وصارت صحارى مجدبة بعد العمران وفياتى موحشة بعد الانس ، وخرائب منقطعة بعد الحسن، وشعابا مفزعة بعد الأمن ومأوى للذئاب ومعازف للغيلان وملاعب للجان ومكامن للوحوش,, (١٠).

ولا بد لنا من وصف موجز لاحوال العصر السياسية والعلمية والاجتماعية التي عاشها ابن حزم لمعرفة الآثار التي انعكست على شخصيته من خلالها .

الاحوال العلمية :

لقد ازدهرت كافة العلوم فى الاندلس للأسباب التالية:

(١) الترجمة : كثرت الترجمة لمختلف العلوم فى الاندلس بشكل ملحوظ خاصة فى القرنين الثالث والرابع ، مما كان له اكبر الاثر فى ازدهار هذه العلوم وتفاعل العلماء معها ، كما حصل فى المشرق فى عصر المأمون فأوجد هذا التفاعل العلمى ثراء علميا ملموسا .

(٢) انتقال كثير من العلماء فى المشرق الى الاندلس وذهاب علماء الاندلس كذلك الى المشرق كان له اثر مميز فى نشر العلم وازدهاره وتفاعل العلماء معه وهذا ما حصل تماما لابن حزم حين اطلع على الفقه الشافعى واتباعه له فى بداية حياته العلمية ، فكانت الرحلات العلمية بين المشرق والمغرب مستمرة ونقل العلم والافكار هنا وهناك مستمرة كذلك وهذا الوضع اثرى العلماء ثراء كبيرا (١١) .

(٣) ظهر فى هذه الفترة التى عاشها ابن حزم علم الفلسفة فى الاندلس وكان من أشهر العلماء فى هذا الميدان ابن رشد فكان للفلسفة اثرها كما كان فى المشرق (١٢) .

(٤) اهتمام حكام الاندلس بالعلم والعلماء كان له اثر كبير فى ازدهار العلم واقبال الناس عليه، وكان من أشهر هؤلاء الحكام الذين اهتموا بذلك عبدالرحمن الداخل وابنه محمد، وكان جلّ اهتمامهم الفقهي منصباً على الفقه المالكي مع الاهتمام بالعلوم الاخرى كالحديث واللغة (١٣) .

لاشك ان مثل هذه الظروف العلمية تكون مناخا خصبا لطلاب العلم ينهلون منه ويظهر ابداعهم فيه واثره فيهم، وهذا ما نلمسه تماما فى شخصية ابن حزم .

### الاحوال السياسية :

لقد بلغ عدد الامراء والملوك الذين حكموا الاندلس منذ أن دخلها عبدالرحمن الداخل قرابة عشرين شخصا، ولم يكن الأمر فى جميع الاحوال مضبوطة ومحكما عند هؤلاء الحكام .

ولكن العصر الذهبى للأمويين فى الاندلس يتمثل بخلافة عبدالرحمن الناصر، وهو ثامن أمراء بنى أمية فى الاندلس ، وقد استطاع هذا الرجل ان يوسع ملكه، ويقضى على الاضطرابات فى الاندلس، ويبسط نفوذه على اجزاء كبيرة منه، واخضع النصرارى والافرنج من حوله، وتولى من بعده الامارة ولده الحكم بن عبدالرحمن، ولكن خلافته لم تطل، وبانتهاء خلافته بدأ عصر الفوضى والاضطرابات فى الاندلس (١٤) .

ظهر المنصور بن عامر كوصى على الحكم نظرا لصغر سن هشام بن الحكم بن عبدالرحمن، واستطاع المنصور بدهائه وتخطيطه ان يضبط الامور ويجعل للدولة سيطرة قوية، وكان والد ابن حزم وزيرا فى حكومة المنصور، وشهد الاندلس فى عصره حزما وقوة ، ولكن الأمر لم يطل فقد حدثت تغييرات فى الحكم، فكان الأمر فى تبدل واضطراب، فمرة يكون ابن حزم وزيرا ، ومرة يخلع من وزارته الى ان استقر الأمر للطوائف والبربر، وبذلك يكون ابن حزم قد عاش عصرا سياسيا مضطربا لم يهدأ ولم يقر له قرار (١٥) .

لقد بقى ابن حزم مواليا للأمويين ساعيا لخدمتهم فى كل مجال، وناله بسبب ذلك ما ناله عند تقلب الأمور، وتقلد الوزارة ثلاث مرات

من اجل مساعدة الأمويين فى استعادة ملكهم وقوتهم ، وكلما تحول الأمر عنهم عوقب بالنفى أو السجن، فأثر ذلك فى عدم استقراره، ومع ذلك ظل ابن حزم وفيها لهذه الأسرة، لا ييخل عليها بالنصرة فى أى مجال يقدر عليه مهما حدث له، وهذا يدل على اصالة فى نفسه وحفظ للمعروف ، وثبات على المبدأ ، ونادرا ما يستمر المرء على هذه الاحوال فى مثل الظروف التى عاشها ابن حزم (١٦) .

نتيجة لهذه التقلبات السياسية المستمرة وعدم استقرار ابن حزم بسببها فى مكان معين جعله يرى ان من الخير له أن يعتزل السياسة والتشيع لبنى أمية ، فعكف على الدراسة والعلم، فوجد فى ذلك راحة ورتاسة أفضل مما كان عليه (١٧) .

#### الاحوال الاجتماعية :

لقد كانت الأوضاع الاجتماعية لأهل الاندلس تخضع لنمط خاص ليس موجودا فى المشرق الاسلامى فمن هذه الاوضاع :

(١) وجود عناصر مختلفة فى هذا المجتمع من العرب والبربر والطوائف معا ، ولكل من هؤلاء عاداته وتقاليده وتفكيره، أوجد هذا الخليط تفاعلا انتج قوة ادبية وعلمية مميزة عن غيرها من بلدان الاسلام (١٨) .

(٢) طبيعة الاندلس الجغرافية من ماء وهواء واشجار وجبال وما الى ذلك كان له اكبر الاثر على افكار وابدان أهلها (١٩) .

(٣) اختلاط المسلمين بالنصارى عن طريق تلقى العلم أو الزواج من نساءهم أو وجود المملوكين منهم ، والذين كانوا يعيشون فى بيوت المسلمين ويرعون الكبار والصغار ، أوجد تأثيرا وتأثيرا من الطرفين فكون مجتمعا له ما يميزه عن غيره ، خاصة وان الاختلاط بين الرجال والنساء اصبح أمرا ملحوظا فى الاندلس لسماع الشعر والأدب وما الى ذلك (٢٠) .

(٤) الأمن والاستقرار الذى تمتع به اهل الاندلس فى القرنين الثالث والرابع الهجريين مما كان له أثر واضح فى رفاهية العيش والترف فى الاندلس (٢١) .

هذا الاوضاع الاجتماعية مجتمعة كقيلة بأن تثرى أهل الاندلس ثراء علميا كبيرا ، وتمكنهم من معرفة علوم العصر وطلبها والاهتمام بها وهى أوضاع مغرية للعلماء فى الاستقرار واعطاء العلم وحمله من بلد الى آخر .

مصنفات ابن حزم :

عرفنا فيما سبق ان ابن حزم قد نهل من مختلف العلوم على ايدى علماء كبار ، وقرأ علوم السابقين وتيسر له كل ذلك الأمر فظهرت نتيجة ذلك فى كثرة مصنفاته والتي ما تركت جانبا من جوانب العلم التى اطلع عليها الا واسهمت فيه ، ولكن معظم هذه المصنفات فقد، ولعل سبب ذلك يعود الى :

(١) مذهبه الذى خالف فيه أهل الاندلس، وهو المذهب الظاهرى الذى سنتحدث عنه فيما بعد .

(٢) حدة لسانه ونقده اللاذغ لمن خالفه مهما كانت مكانته العلمية، وقد شبه لسانه بسيف الحجاج فى تسليطه على الناس، وتطاوله على العلماء (٢٢) .

(٣) مناظرته للنصارى واليهود وكتاباتة عنهم وابطال عقائدهم، ورده على المذاهب الأخرى المرفوضة فى الاسلام (٢٣) .

هذه الاسباب التى ادت الى فقدان كثير من مؤلفات هذا العالم الكبير، ومع ذلك فقد بقى من مصنفاته ما كان له الاثر الكبير فى حفظ تراث الفقه الاسلامى مدة من الزمن كما سنوضحه فيما بعد .  
وأما هذه المصنفات فهى :



- (١) ,,طوق الحمامة ,, : وهو كتاب يتحدث فيه ابن حزم عن العشق واهله وما يعترى هؤلاء من أمور نتيجة ذلك ويعتبر الكتاب أول دراسة نفسية سلوكية لفئة خاصة من المجتمع ، يقوم بدراستها وتحليل افكارها ابن حزم (٢٤) .
- (٢) كتاب : ,, الاحكام في اصول الأحكام ,, . وهو كتاب فى غاية التقصّى وايراد الحجج .
- (٣) وكتاب : ,,الفصل فى الملل والأهواء والنحل,, : وهو كتاب فريد من نوعه ، ويعد دراسة متقدمة فى مقارنة الاديان والرد على اصحاب الفرق الضالة .
- (٤) وكتاب : ,,الاجماع ومسائله على ابواب الفقه ,, .
- (٥) وكتاب : ,,اظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والانجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يتحمل التأويل,, ، وهذا معنى لم يسبق اليه .
- (٦) وكتاب : ,, التقريب بحد المنطق ,, والمدخل اليه بالألفاظ العامية والامثلة الفقهية . فانه سلك فى بيانه وازالة سوء الظن عنه بطريقة لم يسلكها أحد قبله (٢٥) .
- (٧) وله كتاب صغير سماه ,, نقط العروس,, جمع فيه كل غريبة نادرة ، وهو مفيد جدا (٢٦) .
- (٨) وله كتاب ,,المحلى ,, : وهو كتاب فريد من نوعه فى بابيه ، فقد جمع فيه بين طريقة اهل الحديث واهل الفقه فى الترتيب والتبويب ، فكان ترتيبه وروايته كترتيب اهل الحديث ومناقشة الامور الفقهية والرد على المخالفين مثل ما فعل المصنفون فى الفقه (٢٧) .
- (٩) وله كتاب فى فقه الحديث كبير سماه : ,, كتاب الايصال الى

فهم كتاب الخصال ، الجامعة بحمل شرائع الاسلام فى الواجب والحلال والحرام ، وسائر الاحكام ، على ما أوجبه القرآن والسنة والاجماع ، ، أورد فى هذا الكتاب اقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين فى مسائل الفقه ، والحجة لكل طائفة وعليها ، والاحاديث الواردة فى ذلك من الصحيح والسقيم بالأسانيد وبيان ذلك كله ، وتحقيق القول فيه (٢٨) .

(١٠) كتاب ،،مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض،،(٢٩).

(١١) كتاب ،،جمهرة الانساب ،، أو ،، أنساب العرب ،، (٣٠) .

(١٢) كتاب ،،التلخيص والتخليص،، فى المسائل النظرية وفروعها التى لانصّ عليها فى الكتاب ولا فى الحديث (٣١) .

(١٣) كتاب منتقى الاجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف.

(١٤) كتاب ،،الامامة والسياسة ،، فى قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب الى الواجب منها .

(١٥) كتاب : كشف الالتباس ما بين اصحاب الظاهر واصحاب القياس .

بالاضافة الى كتب أخرى فى الأدب والشعر والطب وغيرها (٣٢) .  
وفاته :

توفى ابن حزم فى بلدة لبله سنة ٤٥٦ هـ على الاصح من الروايات (٣٣) .

أثره فى عصره :

لقد تيسر لابن حزم - كما اسلفنا - ان يتلقى العلم والأدب على ايدى علماء ومربين لم يحظ به غيره من العلماء مما جعل عقليته

تستوعب كل علوم عصره، فكان مناقشا وناقدا لأهل المنطق والفلسفة تارة ، ولليهود والنصارى تارة أخرى، ومخالفا للفقهاء فيما يراه يستوجب المخالفة ، ويرد هنا وهناك بكل قوة وعنف ، وقد دفعه شعوره بالتحدي واثبات الذات الى الكد المتواصل فى التحصيل وتحمل المشاق فى طلب العلم والمناظرات فى مناطق متعددة، وفنّد مزاعم المخالفين بكل قوة وصراحة (٣٤) .

ان المطلع على مصنفات ابن حزم يؤكد ان الرجل قد استوعب فعلا علوم عصره، اذ انه تناول كل فن من هذه الفنون بالدراسة والتمحيص والرد بكل قوة وصراحة مهما كانت درجة المخالف لمذهبه، ولعل هذا الموقف الذى وقفه ابن حزم مع حدة مزاجه واستخفافه بأراء المخالفين كان سببا فى خصومة طلاب العلم معه خاصة المتمسكين منهم بالمذاهب، وهذا الموقف كان له اكبر الأثر فى قلة التلاميذ الذين أخذوا عنه هذا العلم الزاخر الذى حمله وذب عنه ومن اشهر هؤلاء التلاميذ : محمد بن أبى نصر الازدى الحميدى وابنه الفضل المكنى بأبى رافع والوزير الامام أبو محمد بن العربى، وكذلك سمع منه عبدالباقى بن محمد بن بريال الانصارى ومحمد بن الوليد الفهرى و أبو شريح بن محمد المقرئ (٣٥) .

مذهبه :

لقد بدأ ابن حزم حياته العلمية شافعى المذهب كما اسلفنا ثم مالبت أن استقل برأيه فأخذ بمذهب الظاهر الذى أخذ يناظر فيه ويستنبط الاحكام بناء عليه ، ولم يكن أول من تبني هذا المذهب فقد سبقه اليه داؤد الظاهرى ومن جاء بعده، (٣٦) ولقد عرفنا ان شيخ ابن حزم فى هذا المذهب والذى اثر فيه تأثيرا واضحا هو أبو الخيار مسعود بن مفلت .

يعتمد ابن حزم في مذهبه على العقل في اثبات التوحيد وصدق النبوة ووجوه الاعجاز فيعتمد بعد ذلك على النص يأخذ به ظاهراً وباطناً ، ولا يحاول التخلص من أحكامه لا بتأويل ولا تعليل ، فهو يأخذ بظاهر النصوص الشرعية سواء أكان ذلك في العقائد أم في الاحكام العملية ، فلا يحاول تأويل ظواهر النصوص ، فاذا قال الله سبحانه وتعالى : ,,الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ“ ، قرر ابن حزم ان لله عرشا يليق بذاته العلية من غير محاولة للتأويل ، وكذلك اذا قرر القرآن حكماً شرعياً وجب الانقياد اليه من غير محاولة لتعليل ، فان نصوص القرآن والحديث النبوي أوامر اللطيف الخبير تطاع لذاتها لا لعلها ، فاذا كان التأويل في الغيبات لايجوز ، والتعليل في الاحكام الشرعية غير جائز فالظواهر هي المفيدة ولا اعتبار لسواها (٣٧) .

لقد اختار ابن حزم مذهباً خاصاً به وهو مذهب الظاهر الذي وضعنا منهجه فيه مثل قليل ، وبناء عليه فان ابن حزم لايجيز التقليد بأى حال من الأحوال ، فعلى طالب العلم الذي يسأل عن مسألة ما أن يذكر الدليل الذي استند عليه في جوابه من الكتاب أو السنة ، والألا عبرة بجوابه فيقول ابن حزم في ذلك : ,, ولا يحل لأحد أن يقلد احداً لا حياً ولا ميتاً وعلى كل أحد من الاجتهاد حسب طاقته ، فمن سأل عن دينه فانما يريد معرفة ما الزمه الله عز وجل في هذا الدين ، ففرض عليه ان كان أجهل البرية أن يسأل عن اعلم اهل موضعه بالدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا دلّ عليه سأل ، فاذا افتاه قال له : هكذا قال الله عز وجلّ ورسوله ؟ فان قال له نعم أخذ بذلك وعمل به ابدًا ، وان قال له هذا رأيي أو هذا قياس أو هذا قول فلان ، وذكر له صاحباً أو تابعا أو فقيها قديماً أو حديثاً أو سكت ، أو انتهره أو قال له لا أدري ، فلا يحل له أن يأخذ بقوله ولكنه يسأل غيره.. (٣٨) .

دوره في حفظ التراث الاسلامى :

لقد اسهم ابن حزم اسهاما ملموسا في حفظ التراث الاسلامى فكانت مصنفاته مرجعا للفقهاء والمحدثين والمفسرين والادباء واصحاب الملل والنحل والسير ، فكان بذلك مرجعا لعلوم عصره وهذه ندرة لا تكاد تجتمع لعالم مثل ابن حزم، ولولا الاسباب التى ذكرناها انفا لوجدنا اثرا عميقا لهذا العالم فى المجتمع الاسلامى ماضيا وحاضرا .

فى مجال الفقه : حفظ ابن حزم اقوال الصحابة والتابعين وعنى عناية خاصة بفقه آل البيت ، نقل الينا آراءهم فى كل مسألة ، وركز على فقه الامام على بن أبى طالب على وجه الخصوص ، ولذلك استطاع طلاب العلم ان يتتبعوا آراء آل البيت فى الفقه من كتابه المشهور ,, المحلى ,, فكان المرجع الاساسى لهم فى موسوعة فقهية تحمل اسم : موسوعة فقه آل البيت (٣٩) .

وهناك من العلماء الذين اسهموا فى نقل علوم الاسلام لم يجدوا فى عصرهم تلاميذ يحملون هذا العلم ، فكان كتاب ابن حزم المحلى المذكور الوثيقة التى احتفظت بعلم هؤلاء الرجال عبر الزمن، فوجدها طلاب العلم فيما بعد منقولة بأمانة فى هذا الكتاب ، ومن هؤلاء العلماء الاوزاعى رحمه الله ، فما من مسألة فقهية عند ابن حزم تخلوا من رأى لهذا الفقيه (٤٠) .

وفى مجال الحديث : اسهم ابن حزم اسهاما كبيرا فى حفظ الاحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك باعتماده فى مذهبه على النص من القرآن والسنة وتقديمها على قول كل قائل ، ولقد جاء تصنيف ,, المحلى ,, الفريد من نوعه زاخرا بالاحاديث النبوية الشريفة على خلاف كتب الفقه الأخرى التى تعنى بآراء الفقهاء

والقياس وما الى ذلك اكثر من الأحاديث، فاعتماد ابن حزم فى كتابه هذا أو غيره على الحديث اسهم فى حفظ هذا التراث المهم فى الاسلام (٤١) .

وفى مجال الملل والنحل : فقد تناول هذا العالم موضوع الملل والفرق تناولا دقيقا ومفصلا شارحا وناقدا بكل أمانة وقوة ردّ فى هذه المجالات الصعبة فكانت دراسته هذه مقدمة لعلم مقارنة الاديان التى اخذت تعرف فيما بعد لدى الباحثين المعاصرين (٤٢) .

ان الذين تناولوا هذه الدراسة من علماء الشرق مثل ابن حزم من اقتصر على مقالات الاسلاميين واختلاف الفرق الاسلامية ولم يتجاوز ذلك (٤٣) ، ومنهم من ذكر غيرهم من الملل والنحل ولكنه لم يكن مفصلا ودقيقا ومحايذا فى كتابته (٤٤) .

فجاءت دراسة ابن حزم مميزة عن هؤلاء بشمول دراسته لجميع الملل والنحل فى الاسلام واليهودية والنصرانية وغيرها ، بالاضافة الى النقل السليم والحيدة التامة والشرح الواضح والرد القوى على المخالفين لدين الاسلام مع تركيز واضح على النصارى واليهود (٤٥) .

وفى مجال علم النفس : فقد طرق ابن حزم بابا فريدا من نوعه لدى فقهاء المسلمين تحدث فيه عن اصناف النفوس ودواعى اتفاقها واختلافها باسلوب دقيق ، وذلك فى كتابه ،، طوق الحمامة ،، الذى اعتبره الدارسون محاولة متقدمة لدراسة علم النفس، ومما يجعل هذا الكتاب مهما ودقيقا فى هذا الفن انه جاء من شخص عايش معظم هذه الامور التى ذكرها اما بنفسه واما مع غيره ، واعتماده فى قواعده النفسية على احداث حقيقية يذكر فيها اسماء اصحابها ومواقع حدوثها واستشهاده على تلك الاحكام بالأدلة من القرآن والسنة ، ومن هنا كان كتابه مشهورا وفريدا فى باب (٤٦) .

وفى مجاف الاجتهاد : اضاف ابن حزم الى الفقه الاسلامى المشهور بين العامة والخاصة مذهبا فقهيا آخر وهو المذهب الظاهرى الذى مهد له من قبل ابن حزم ، ولكنه قعد قواعده واصل اصوله ودافع عنه بقوة ، فكسر بذلك الجمود الفقهى بعد الفقهاء الاربعة، وحدث مفاعلة قوية بين طلاب العلم أثرت الفقه الاسلامى بذلك النقاش العلمى والمناظرات الفقهية بين الشرق والغرب (٥٧) .

لقد استطاع ابن حزم بذكائه وعكوفه على العلم وقوة شخصيته ان ينقل الى الاندلس واهله معظم علوم المشرق، ولولا تلك الزوايع التى أثيرت حول هذا الطود الكبير لكان دوره فى حفظ التراث الاسلامى وشحذ عقول طلاب العلم اكبر مما هو عليه الآن، وكان السبب فى اهمال كثير من كتب ابن حزم بالاضافة الى الاسباب التى عرفناها آنفا التعصب المذهبى الذى ابتليت به الامة فيما مضى ، واما اليوم فان الدراسات الكثيرة هنا وهناك بدأت تأخذ دورها فى تسليط الضوء على هؤلاء العلماء واعطائهم حقهم بتعريف الامة بعلمائها وتراثهم ودورهم فى حفظ الاسلام واهله .

## هوامش

- ١ - الحميدى محمد بن أبى نصر فتوح بن عبدالله الازدى (ت ٤٨٨هـ) جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الاندلس . الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة عام ١٩٦٦م مطابع سجل العرب ، القاهرة عدد صفحات الكتاب ٤١٤ صفحة ص ٣٠٨ .
- ٢ - ابن بشكوال خلف بن عبدالملك (ت ٥٧٨هـ) الصلة فى تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وادبائهم . نشره وصححه عزت العطار الحسينى ، ١٣٧٤ هـ ج ٢ ، ص ١٩٣٦ .
- ٣ - الحمد أحمد بن ناصر . رسالة دكتوراه بعنوان : ابن حزم وموقفه من الالهيات) مقدمه لجامعة أم القرى مكة المكرمة عام ١٤٠٠ هـ ، ص ١٥ - ١٧ .
- ٤ - أبو زهره محمد (ت ١٩٧٤م) ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه . الناشر دار الفكر العربى دار الاتحاد العربى للطباعة . عدد صفحاته ٦٠٦ ، ص ٢٥ - ٢٧ .

- ٥ - ابن حزم على بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) طوق الحمامة في الألف والآلاف . تحقيق المحامي فاروق سعد . منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٧٥ ، عدد صفحاته ٣٣٣ .
- ٦ - المصدر السابق ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
- ٧ - أبو زهره : مصدر سابق ص ٣٣ - وانظر طوق الحمامة ، مصدر سابق ص ١٨١ - ١٨٢ .
- ٨ - أبو زهره : مصدر سابق ص ٩٠ - ٩٣ .
- ٩ - طوق الحمامة : مصدر سابق ص ١٤٠ - ١٤١ .
- ١٠ - المصدر السابق : ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٦١ - ٢٦٣ .
- ١١ - أبو زهره مصدر سابق ص ١١٠ .
- ١٢ - المصدر السابق ص ١١٠ .
- ١٣ - التلمساني محمد المقرئ ( ت ٧٧١هـ ) نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - الناشر دار الكتاب العربي بيروت ج ١ ، ص ٢٠٥ .
- ١٤ - المصدر السابق ج ١ ، ص ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٤٠ .
- ١٥ - الحميدى ، جذوة المقتبس ، مصدر سابق ص ١٨ - ٢٠ .
- ١٦ - أبو زهره : مصدر سابق ص ٤٥ - ٤٧ .
- ١٧ - المصدر السابق ، ص ٩٦ .
- ١٨ - طوق الحمامة : مصدر سابق ، ص ٢٦١ .
- ١٩ - نفع الطيب : مصدر سابق ، ص ٢ ، ٢٨ .
- ٢٠ - أبو زهره : مصدر سابق ، ص ١١٠ .
- ٢١ - نفع الطيب : مصدر سابق ج ٢ ، ص ٢٠٥ .
- ٢٢ - ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ( ت ٦٨١هـ ) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق د . احسان عباس ، الناشر دار الثقافة بيروت ، ج ٣ ، ص ٣٢٨ .
- ٢٣ - الحموى ياقوت ( ت ٦٢٦هـ ) معجم الادباء ، مطبعة دار المأمون ، ج ١٢ ، ص ٢٥١ .
- ٢٤ - مقدمة طوق الحمامة : مصدر سابق ص ٣٧ - ٣٨ .
- ٢٥ - الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره ( ت ٥٩٩هـ ) بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الاندلس الناشر دار الكتاب العربي ١٩٦٧م ، مطبعة سجل العرب ، القاهرة ، عدد صفحاته ، ٥٤٧ ، ص ٤١٦ .
- ٢٦ - وفيات الاعيان : مصدر سابق ج ٣ ، ص ٣٢٦ .
- ٢٧ - انظر ترتيب المحلى لابن حزم : تحقيق لجنة احياء التراث العربى منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ادارة الطباعة المنبرية دمشق ، ١٣٥٢ هـ ، والكتاب مكون من أحد عشر جزءا .
- ٢٨ - الذهبي أبو عبدالله شمس الدين محمد ( ت ٧٤٨هـ ) تذكرة الحفاظ ، الناشر دار احياء التراث العربى بيروت ، ص ٤٧ ١١ .
- ٢٩ - ابن العماد أبو الفلاح عبدالحى ( ت ١٠٨٩ ) شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، الناشر دار احياء التراث العربى ، بيروت ج ٣ ، ص ٣٠٠ .
- ٣٠ - دائرة المعارف الاسلاميه ، النسخة العربية ، الناشر دار الشعب القاهرة ، الطبعة الثانية ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .



- ٣١- الشتريني أبو الحسين علي بن بسام (ت ٥٤٢ هـ) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د. احسان عباس، الناشر دار الثقافة بيروت ١٣٩٩ هـ ، ج ٧ ، ص ١٧١ .
- ٣٢- المصدر السابق : ج ٧ ، ص ١٧١ .
- ٣٣- ابن كثير أبو الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤ هـ) البداية والنهاية ، ملتزم النشر والطباعة مكتبة دار المعارف بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٧ م ج ١٢ ، ص ٩٢ .
- ٣٤- الذهبي أبو عبدالله شمس الدين محمد (ت ٧٤٨ هـ) سير النبلاء ، تحقيق سعيد الافغانى - الناشر دار الفكر بيروت ١٣٨٩ هـ ، ص ٤١ - ٤٢ .
- ٣٥- تذكرة الحفاظ ، مصدر سابق ، ٣ ، ص ١١٤٦ .
- ٣٦- وفيات الاعيان ، مصدر سابق ج ٣ ، ص ٣٢٥ .
- ٣٧- أبو زهره ، مصدر سابق ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .
- ٣٨- المحلى : مصدر سابق ج ١ ، ص ٦٦ .
- ٣٩- الموسوعة يقوم باعدادها فريق من طلاب البحث العلمى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .
- ٤٠- أنظر ذلك فى كتابه المحلى المكون من أحد عشر جزءا ، مصدر سابق .
- ٤١- أنظر هذا المنهج فى كتابه المذكور سابقا وهو المحلى .
- ٤٢- رسالة دكتوراه ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .
- ٤٣- أنظر الاشعري أبو الحسن على بن اسماعيل (ت ٣٣٠ هـ) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ .
- ٤٤- أنظر الشهر ستانى محمد بن عبدالكريم بن أبى بكر (ت ٥٤٨ هـ) الملل والنحل ، ملتزم النشر والطباعة دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ .
- ٤٥- أنظر ذلك فى كتابه ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، تحقيق د. محمد ابراهيم نصر ، ود. عبدالرحمن عميره ، الناشر شركة عكاظ الرياض ، الطبعة الاولى ١٤٠٢ ، والكتاب مكون من خمسة أجزاء .
- ٤٦- أنظر كتابه فى ذلك : طوق الحمامة ، مصدر سابق ، ص ٣٤ - ٣٥ .
- ٤٧- أنظر موقفه فى ذلك ص ٧ من البحث .

